المحاضرة السادسة: فنون أدب الطفل: القصة وأنواعها

مقدّمة:

تُعدّ القصة الموجّهة للأطفال من أبرز أشكال أدب الطفل وأعمقها أثرًا في تنشئة الناشئة، لأنها تجمع بين اللعب والمتعة والتربية، فمن خلال القصة يتعلّم الطفل اللغة، ويكتسب القيم، ويمارس الخيال، ويكتشف العالم، وقد أدرك المربّون منذ القدم أن الحكاية وسيلة تربوية راقية؛ إذ تُقدَّم المعلومة والعبرة في قالب سردي ممتع يستهوي الطفل أكثر من الخطاب المباشر.

أولًا: مفهوم القصة الموجّهة للأطفال

القصة الموجّهة للأطفال هي عمل أدبي نثري قصير يُقدَّم بأسلوب بسيط ومشوّق يتلاءم مع مستوى الطفل العقلي والنفسي واللغوي، يهدف إلى التسلية والتعليم والتربية من خلال شخصيات وأحداث واقعية أو خيالية، كما تعرف بأنها: "بناء سردي موجَّه إلى الطفل، تُعبّر عن تجربة أو مغزى تربوي أو وجداني، يُقدَّم بلغة فنية ملائمة لعمر المتلقي، ويهدف إلى الإمتاع والتعليم في آنٍ واحد."

ثانيًا: نشأة القصة الموجّهة للأطفال وتطوّرها

ظهرت بداياتها في التراث الإنساني القديم مع حكايات الجدّات والخرافات والأساطير مثل حكايات "كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة"، ومع النهضة الحديثة، تطوّرت لتصبح فنًّا تربويًا موجَّهًا للأطفال، بفضل جهود كتاب مثل كامل كيلاني في مصر الذي يُعدّ رائد القصة العربية الموجّهة للأطفال، وعبد التواب يوسف وأحمد نجيب ويعقوب الشاروني وسميرة خماش في المشرق، ومحمد ديب وزهور ونيسي وجميلة طلباوي في الجزائر والمغرب العربي.

ثالثًا: أنواع القصة الموجّهة للأطفال

تنقسم القصة الموجّهة للأطفال بحسب موضوعها ومضمونها إلى أنواع متعددة:

1. **القصة الخيالية:** هي التي تقوم على أحداث وشخصيات خيالية (كالأقزام، الجان، الحيوانات الناطقة، المخلوقات السحرية....)، تُنمّي في الطفل الخيال والإبداع، وتُوسّع مداركه الذهنية، مثال: قصة علاء الدين والمصباح السحري، حيث يكتشف الطفل قوة الخير والشجاعة، و في الأدب العربي الحديث: قصة رحلة في عالم الغيوم لأحمد نجيب، والهدف منها: تربية الخيال، وتنمية الثقة بالنفس، والقدرة على الحلم والابتكار.

.2**القصة العلمية:** تقدّم المعرفة العلمية في قالب قصصي مبسّط، فيتعلّم الطفل من خلالها حقائق عن الكون والطبيعة والاختراعات، مثال: قصة الطفل والروبوت تشرح فكرة الذكاء الاصطناعي بطريقة مشوقة، وقصة النحلة الصغيرة توضّح دورة حياة النحلة، والهدف منها: تحبيب العلم للطفل، وتحفيز فضوله المعرفي.

.3**القصة الفكاهية:** تعتمد على المفارقة والموقف الطريف، فتثير الضحك وتغرس القيم بطريقة غير مباشرة، وهي وسيلة تربوية رائعة لأنها تعالج السلوك السلبي بالسخرية اللطيفة، مثال: قصة حمدي الذي لا يسمع النصيحة، أو نونو الكسول، وفي الأدب العالمي: حكايات إيسوب الفكاهية ذات المغزى الأخلاقي، الهدف منها: تصحيح السلوك عبر الفكاهة، وتنمية روح الدعابة والمرح.

.4**القصة التاريخية:** تُعرّف الطفل بأبطال الأمة وتاريخه، بأسلوب مشوّق بعيد عن السرد الجاف، مثال: قصة طارق بن زياد وعبور البحر، أو صلاح الدين الأيوبي محرر القدس، وفي الجزائر، قصة الأمير عبد القادر البطل الشجاع تُقدَّم في كثير من المناهج الابتدائية، والهدف منها: تعزيز الانتماء والهوية الوطنية.

.5القصة الديني: تُقدّم القيم الإيمانية والأخلاق الإسلامية من خلال أحداث وشخصيات دينية، مثل قصص الأنبياء أو الصحابة، مثال: قصة النبي يوسف عليه السلام في بساطة تشد الطفل إلى الصبر والعفو، وقصة نوح والسفينة لترسيخ مفهوم الإيمان والثقة بالله، والهدف منها :غرس العقيدة والخلق الكريم بأسلوب جمالي غير مباشر.

.6**قصص الحيوانات:** تُعدّ من أقدم الأنواع وأحبّها للأطفال، لأن الحيوان يجذب الطفل بخياله وبراءته، وغالبًا ما تُسند إليه صفات إنسانية (الذكاء، المكر، الكرم...) لتقديم العبرة.، مثال: من التراث: كليلة ودمنة (الفيلسوف الهندي بيدبا، ترجمة ابن المقفّع)، من المعاصرين: الثعلب الماكر والديك الشجاع، والهدف منها: تبسيط المفاهيم الأخلاقية (الصدق، التعاون، العدل، الحيلة....)

رابعًا: مكوّنات القصة الموجّهة للأطفال

القصة عمل فني مركّب، ولها عناصر فنية تشكّل بنيتها السردية، وفي القصة الموجّهة للأطفال، تُراعى هذه المكونات بما يتناسب مع إدراك الطفل.

1. **الفكرة:** هي المعنى أو المغزى العام الذي تسعى القصة لتوصيله (كالصدق، الصبر، حب الوطن)، مثال: في قصة الولد الذي كذب مرة، الفكرة هي "عاقبة الكذب."

2. **الحدث:** هو تسلسل الوقائع التي تقوم عليها القصة، يُبنى الحدث في القصة الموجّهة للطفل على بداية مشوّقة – عقدة بسيطة – حل إيجابي، مثال: في قصة النملة والحمامة يبدأ الحدث بوقوع النملة في الماء وينتهي بإنقاذ الحمامة لها.

3. **الشخصيات:** قد تكون بشرية أو حيوانية أو خيالية، ينبغي أن تكون قريبة من عالم الطفل، تحمل صفات واضحة، وتخضع لتطوّر بسيط يسهل فهمه، مثال: الأرنب والسلحفاة – رمزان للسرعة والحكمة.

4. **الأسلوب:** لغة بسيطة مشوّقة، تعتمد على الإيقاع اللفظي، وتجنّب الغموض والمجاز الثقيل، مثال: "ركض الأرنب سريعًا، لكنه تعثّر في الطريق".

5. **السرد:** هو طريقة الحكي، يُستحسن أن يكون السرد مباشرًا بضمير الغائب أو بأسلوب الراوي القريب من الطفل، مثال: "كان خالد يحب المدرسة، لكنه نسي واجبه في يومٍ من الأيام"...

6. **الوصف:** يُستخدم لإحياء المشهد وجعل الطفل يرى بعينه الخيال، مثال: "كانت الغابة خضراء تتلألأ فيها أشعة الشمس مثل ذهبٍ سائل".

7. **الحوار**: يجعل القصة حيّة ومليئة بالحركة، ينبغي أن يكون بسيطًا، قصير الجمل، واقعيًا، مثال:

–قالت النحلة: "هل تساعدينني يا زهرة؟"

–أجابت الزهرة: "بالطبع يا صديقتي"!

8. **الزمان:** يُراعى أن يكون محددًا وسهل التخيّل (الصباح، الليل، العيد....)، مثال: "في صباح يومٍ مشمسٍ جميل، خرج سامي ليلعب".

9. **المكان:** مكان مألوف للطفل: المدرسة، الحديقة، البيت، الغابة، مثال: "في حديقة مليئة بالأزهار، كان الأرنب يقفز بين الشجيرات".

10. **اللغة:** يُراعى أن تكون مفهومة، جميلة، سليمة نحويًا، خالية من التعقيد، تستعمل كلمات مألوفة مع جرعة من التخييل والإيحاء، مثال: "ابتسمت الشمس وفتحت الزهرة عينيها".

خامسًا: المعايير الواجب توفرها في القصة الموجّهة للأطفال

لتكون القصة ناجحة ومؤثرة، يجب أن تتوافر فيها معايير تربوية، ولغوية، وجمالية، وفكرية، نذكر منها:

1. **الملاءمة لعمر الطفل:** ينبغي أن تناسب القصة مستوى الطفل الإدراكي واللغوي والعاطفي، مثال: قصة "النحلة الصغيرة" تناسب سنّ ما قبل المدرسة، أما "رحلة في الفضاء" فتناسب تلاميذ المرحلة المتوسطة.

2. **البساطة والوضوح:** تُعرض الفكرة دون تعقيد أو رموز غامضة، مثال: "من يساعد الآخرين، يساعده الله" بدل التلميح المجازي.

3. **التوازن بين التسلية والتعليم:** على القصة أن تُمتِع وتُفكّر في آنٍ واحد، فلا تكون دروسًا جافة ولا لعبًا فارغًا، مثال: الولد الذي أنقذ الغابة يجمع بين المغامرة وغرس قيمة حماية البيئة.

4. **اللغة الجذّابة:** يُستحبّ أن تكون لغتها موسيقية ذات إيقاع لطيف، تُحبّب الطفل في القراءة.

5. **الجانب التربوي والأخلاقي:** تُغرس القيم (الصدق، الأمانة، التعاون، حب الوطن، احترام الكبير) بطريقة غير مباشرة من خلال الحدث والشخصي، مثال: في قصة الأصدقاء الثلاثة يتعلم الطفل التعاون دون وعظ مباشر.

6. **العنصر الجمالي:** القصة يجب أن تثير الدهشة والمتعة، سواء في الصورة أو الحبكة أو النهايات المفاجئة.

7. **الواقعية الرمزية:** حتى في القصص الخيالية، يجب أن تحتفظ القصة بقدرٍ من المصداقية يجعل الطفل يصدّقها ويتفاعل معها.

8. **سلامة المضمون:** يجب أن يخلو من العنف أو الأفكار السلبية أو المفردات الغريبة عن ثقافة الطفل أو دينه.

9. **استخدام الصورة والتكرار**: الصورة والرمز والتكرار يسهمان في تثبيت المعاني في ذهن الطفل.

10. **نهاية إيجابية** تُغرس في الطفل روح الأمل والنجاح، بعيدًا عن الحزن أو الفشل، مثال: تنتهي القصة بانتصار الخير أو تحقّق الحلم.

سادسا: الخاتمة

القصة الموجّهة للأطفال ليست مجرّد وسيلة تسلية، بل هي أداة تربوية وجمالية وفكرية، تُسهم في بناء شخصية الطفل وتشكيل وعيه، ومن هنا تأتي أهميتها في المنظومة التعليمية والثقافية، فالكاتب المبدع في هذا المجال لا يكتب بعقل الراشد، بل بقلب الطفل وعين الفنان، يجمع بين الفن والتربية، بين الحلم والمعرفة، ليغرس في الأجيال الخيال، الإيمان، والأمل.